



Journal of

# STEPS

for Humanities and Social Sciences

Volume 1 | Issue 4

Article 12

## The emotional motives of the spectrum in Andalusian poetry in the age of sects

Jumaa Hussein Youssef  
*Tikrit University, Iraq, dr.joumaa@tu.edu.iq*

Muntaha Musharraf Aliwi  
*The General Directorate of Education in Salah al-Din Governorate, Iraq*

Follow this and additional works at: <https://www.steps-journal.com/jshss>



Part of the Arts and Humanities Commons, Business Commons, Education Commons, Law Commons, and the Political Science Commons



This work is licensed under a [Creative Commons Attribution-NonCommercial-No Derivative Works 4.0 International License](https://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/).

### Recommended Citation

Youssef, Jumaa Hussein and Aliwi, Muntaha Musharraf (2022) "The emotional motives of the spectrum in Andalusian poetry in the age of sects," *Journal of STEPS for Humanities and Social Sciences*: Vol. 1 : Iss. 4 , Article 12.  
Available at: <https://doi.org/10.55384/2790-4237.1215>

This Original Study is brought to you for free and open access by Journal of STEPS for Humanities and Social Sciences (STEPS). It has been accepted for inclusion in Journal of STEPS for Humanities and Social Sciences by an authorized editor of Journal of STEPS for Humanities and Social Sciences (STEPS).

## دوافع الطيف الوجدانية في الشعر الأندلسي في عصر الطوائف

أ.د. جمعة حسين يوسف م.م. منتهى مشرف عليوي

تاريخ القبول: 2022/12/10

تاريخ الاستلام: 2022/04/23

### المستخلص

شكّل الطيف ظاهرة مميزة في الشعر الأندلسي في عصر الطوائف ، فتعددت دوافعه على حسب توظيفه في الشعر ، فهو يمثل عالم الرؤى والأحلام في النص الشعري ، بعد أن يخرج الشاعر بصيغة فنية يمنح النص خلقاً وإبداعاً وجمالاً خاصاً ؛ ليسهم في تفجير كوامن الإبداع لدى شعراء عصر الطوائف في الأندلس ، وقد تأثر الشعراء باستقرار الحياة السياسية والاجتماعية وحتى الثقافية في ذلك العصر ، الأمر الذي ولد نفوساً منفصلة ومتفاعلة تتغنى بطيف الحبيبة ، وتجسد لوعة الحب والعاطفة تحت ظرف خاص يمر به الشاعر ، وفي لحظة إبداع بطريقة خاصة وبألفاظ معينة وبوقت محدد. والبحث مستل من أطروحة الدكتوراه الموسومة "الطيف في الشعر الأندلسي في عصر الطوائف (400هـ – 484هـ)".

وقام البحث على تمهيد يحدد فيه مفهوم الطيف لغة واصطلاحاً ، وثلاثة مباحث : كان الأول : الشوق والحنين باعثاً مثيراً في تخليد الطيف في تجارب الشعراء الذاتية عبر شوقهم وحنينهم إلى الأيام الماضية الجميلة. والثاني : الفراق والذي يمثل باعثاً مميزاً لشعر الطيف ، إذ يخفي الشعراء حدة الفراق وهم يطوفون بخيالهم. والثالث : الوداع الذي يدعو الشعراء إلى استحضار تلك اللحظات الماضية ؛ ليرسم الصورة المشهدة لفراق الوطن أو الأهل أو الحبيبة. ثم الخاتمة وما توصل إليه البحث من نتائج.

**الكلمات المفتاحية : الدوافع الوجدانية، الطيف، الشوق والحنين، الفراق، الوداع.**

\* قسم اللغة العربية، كلية التربية للعلوم الإنسانية ، جامعة تكريت، تكريت، العراق.

[dr.joumaa@tu.edu.iq](mailto:dr.joumaa@tu.edu.iq)

# **The emotional motives of the spectrum in Andalusian poetry in the age of sects**

\* **Prof. Jumaa Hussein Youssef**, *College of Education for Human Sciences, Tikrit University, Iraq.*

**Muntaha Musharraf Aliwi**, *The General Directorate of Education in Salah al-Din Governorate, Iraq*

## **Abstract**

The spectrum formed a distinctive phenomenon in Andalusian poetry in the era of sects. Its motives multiplied according to its use in poetry. It represents the world of visions and dreams in its poetic form after being produced by the poet in such an artistic frame that gives it its special beauty and creativity. This contributes to the explosion of creativity among the poets of the sects era in Andalusia. The poets were affected by the stability of the political, social and even cultural life in that era, which generated excited and interactive souls who sang the spectrum of the beloved, and embodied the anguish of love and passion under a special circumstance that the poet goes through, in a moment of creativity in a special way with certain words and at a specific time. The research is derived from the doctoral dissertation tagged "The Spectrum in Andalusian Poetry in the Age of Sects (400 AH - 484 AH)". The research depends on an abstract which explains and defines the term "spectrum" linguistically and terminologically. In addition the abstract consists of three chapters. The first of which explains the poets longing and nostalgia for the beautiful bygone days. The second involves separation which represents a distinctive motive for the poetry of al-Taif, as the poets hide the intensity of separation while wandering around in their imaginations. the third: the farewell that invites poets to evoke those past moments; to paint the scenic picture of the separation of the homeland, family, or beloved. Finally, the research presents the conclusion and the findings of the research.

**Keywords:** psychological motives, spectrum, surprise, psychological suppression.

## التمهيد

يحظى الطيف بعناية خاصة تتبع من القيمة الإنسانية له ، فهو يصور الذات الإنسانية ، عبر جوانب وجدانية يفجرها الشوق والحنين والفراق والوداع ، وقد كانت للظروف الاجتماعية والاستقرار السياسي في عصر الطوائف أبلغ الأثر لبروز الطيف كظاهرة إنسانية خالصة عند الشعراء الأندلسيين ، إن هذا العصر يُوصف بأنه أزهى عصور الأندلس، فيه قامت دولة الأدب والشعر وغصت مجالس الأمراء بالشعراء، فكل ما في الأندلس كان باعثاً على الطيف، فالحياة جميلة والرياض نضرة والجبال شاهقة والجو جميل والنسيم عليل، والطبيعة ساحرة "تغلب عليها المياه الجارية والشجر والثمر، والرخص والسعة في الأحوال من الرقيق الفاخر والخصب الظاهر، إلى أسباب التملك الفاشية فيها، ولما هي به من أسباب رغد العيش وسعته وكثرته، يملك ذلك منهم مهينهم وأرباب صنائعهم لقلّة مؤنتهم وصلاح معاشهم وبلادهم" 1، وهو بلد تنتوع الخيرات فيه والجبايات والصدقات والخراجات الوفيرة.

ويُعد الدافع الوجداني من أهم الدوافع قيمة ، إذ يتمثل في ترجمة ذات الشاعر إزاء الدنيا وعجائبها وقدرة استجابة نفسه الشعاعية لها، ومن أهم دوافع الشعر الوجداني هو الألم والمعاناة والحياة الصعبة فيلجأ الشاعر إلى التعبير عما في نفسه من الشعور بالألم، أو الوحدة، أو الحب، أو غير ذلك من العواطف الصادقة التي تلهب القلب، وترقق الحس، وتهدي البال عن طريق طيف الشاعر، ففيه يتخيل الشاعر حبيبته وقد حلت عنده، على الرغم من بعد المسافة بينه وبينها، لينطق ذلك في أشعاره، فالشاعر الأندلسي هو شاعر شفاف، بعيد عن التكتّم، فهو يعكس وبكل وضوح ما يجيش في صدره من أفراح وما يتطلع إليه من آمال خطيرة وما يصبو إليه من أهداف، ليرسم لنا أجمل صورة فمن "دوران التجربة حول الذات وانطلاق الصورة الفنية من الوجدان يتسم الشعر الوجداني بسمات فنية عرف بها، من ميل إلى الصورة الخيالية والتجسيم والألفاظ الشعرية المحملة بدلالات شعورية غير مقيدة بمعان مادية محدودة" 2.

وهناك مجموعة من الدوافع الوجدانية التي تسهم في إنكفاء قريحة الشعراء ؛ وتكون مبعثاً لهم على توظيف الطيف في أشعارهم ، فالمجتمع الأندلسي ضحكت له الحياة في ذلك العصر الذهبي.

## أولاً : الطّيف لغةً

قال صاحب العباب الزاخر: " طاف حول الكعبة يطوف طوفاً وطوفاً وطوفاً ، والمطاف: الموضع، والطائف: العسس، والطائف: بلاد تقيف، وقال ابن دريد: طيف: الخيال الطائف في المنام، يقال: طاف الخيال وطائف الخيال" 3، ويذكر ابن منظور في اللسان كلمة الطّيف تحت مادة طوف وطيف، فقال: "طيف: طاف الخيال: مجيئه في النوم، وأطاف لغة، والطّيف: الخيال نفسه، والطيف: المسّ من الشيطان، وقال في طوف: طاف به الخيال طوفاً: ألمّ به في النوم" 4، ويذكر صاحب العروس رأياً للأصمعي والفراء، فيقول "ومما يستدرك عليه طاف به الخيال طوفاً ألم به في المنام، واوية ويائية ، فالأصمعي يقول: طاف الخيال يطيف طيفاً ، وغيره يقول : يطوف طوفاً ، وطاف بالقوم يطوف طوفاً وطوفاناً ، وأطاف : استدار ، وجاء من نواحيه" 5، والطيف: الخيال الطائف، وهو ما يراه النائم وهو الجنون والجمع أطياف 6، وهو عند صاحب التاج: "الغضب، وبه فسّر ابن عباس قوله تعالى: "إذا مسّهم طائف من الشيطان"، وهو قول مجاهد أيضاً، وقال الأزهري: الطيف في كلام العرب الجنون، وهكذا رواه أبو عبيد عن الأحمر" 7.

## ثانياً : الطّيف اصطلاحاً

يذكر الأصبهاني في كتابة الزهرة في الباب السادس والثلاثين في باب (من فاته الوصال نعشه الخيال) يقول "هم في التلذذ برقادهم وأحلاؤهم طاعنون عن بلادهم ومن الصّوفيّة من لا يقنع لهم بما أحقناه من العيب بهم حتى يقولوا إنّ النّوم لو كان مانعاً لهم لكان تخصيصهم إيّاه بأنّه يريهم أحبّتهم نقصاً بيناً في

موتتهم فإن الحال إذا تمكنت لم تفترق الروحان وإن افترق الشخصان فالمحِبُّ المشاهد لصاحبه على كلِّ حالٍ مستغنٍ عن الاستعانة على إحضاره برؤية الخيال"8، ويفصل الشريف المرتضى في كتابه طيف الخيال في مصطلح الطيف فيقول "إنه زيارة من غير وعد يخشى مَطْلُهُ ويخاف أيُّهُ وفوته، واللذة التي لم تحتسب ولم ترتقب، يتضاعف بها الالتذاد والاستمتاع، وأنه وصلٌ من قاطع، وزيارة من هاجر، وعطاء من مانع، وبذل من ضنين، وجود من بخيل... وإنه لقاء واجتماع لا يشعر الرقباء بهما ولا يخشى منع منهما... والتهمة بهما زائلة والريبة عنهما عادلة.. ولا يتعلق بهما تحريم ولا يدنو إليهما تأنيب، ولا عيب فيهما ولا عار.. وإني سابق إليه ومبتدئ به"9.

ويعتقد ابن حزم الأندلسي(ت456هـ) صاحب كتاب طوق الحمامة، في الباب الخامس والعشرين من باب (الفتوح)، أن الطيف لا بد منه للعاشق المحروم "ولا بد للمحب، إذا حرم الوصل، من الفتوح بما يجد، وإن في ذلك لمتعللاً للنفس، وشغلاً للرجاء، وتجديداً للمنى، وبعض الراحة، وهو مراتب على قدر الإصابة والتمكن فأولها الزيارة، وإنها لأمل من الآمال ومن سري ما يسبح في الدهر، مع ما تبدي من الخفر والحياء، لما يعلمه كل واحد منهما مما في نفس صاحبه؛ وهي على وجهين: أحدهما أن يزور المحب محبوبه، وهذا الوجه واسع، والوجه الثاني أن يزور المحبوب محبه، ولكن لا سبيل إلى غير النظر والحديث الظاهر... ومن الفتوح الرضى بمزار الطيف وتسليم الخيال، وهذا إنما يحدث عن ذكر لا يفارق، وعهد لا يحول، وفكر لا ينقضي، فإذا نامت العيون وهدأت الحركات وسرى الطيف"10، أما الأنطاكى فيذكر في باب (ذكر الاحتيال على طيف الخيال)"هو أمر مهم عند أهل الغرام يتوصل إليه بالمنام وإنما تدعو الحاجه إليه عند طول الهجر وشدة الدجر ومقاساة نار الملل والسهر"11، فهل هذا الطيف هو مجرد أرواح تلتقي في الخيال؟ أم هو رسالة عاشق إلى معشوق يختلس به اللحظات ويقطع به الطرقات فأدهش الشعراء حضوره، فالطيف هو صورة شبه مرئية مرتبطة بخيال الشاعر وتطور فيه ويأخذ شكلاً مادياً يتراءى شبحاً أو طيفاً12.

## المبحث الأول : الشوق والحنين

يشير الطيف في نفس الشاعر الشوق والحنين، فيتذكر المحبوبة وإيامها فيهزه الشوق والحنين إليها، فزعة الشوق والحنين إلى الأهل والوطن والأحباب نزعة إنسانية متأصلة في الذات البشرية، وأدعها الله عز وجل فينا، بل حتى في الطير والإبل وسائر المخلوقات، وما عاطفة الحنين في جوهرها إلا نزوع طاع إلى ما افتقدها الإنسان، وميل عارم إلى وصاله، فهي عاطفة سامية فيها من الإخلاص والحب والوفاء13، وقد ذاع شعر الحنين عند شعراء الأندلس، وذلك وفقاً لعدة أسباب أدت لذلك ومن ضمنها الرحلة، فقد اضطر عدد من الشعراء إلى مغادرة الديار نفيًا من السلطة الحاكمة، أو هرباً من ظلم أحد، أو سعياً لطلب الرزق، فهزت جذور الحنين أعماق الشعراء، خاصة وهم الذين عرفوا بتعلقهم ببلادهم، ومدى حبهم لموطنهم، إذ مثل الشعراء الحب الصادق والعفوي اتجاه أوطانهم، فجمع الشعراء في قصائدهم محاسن أوطانهم وجمال بلادهم، وعبروا عن حنينهم لها وكأنها المحبوبة بأسمى معاني الحب والشوق والحنين، فنتج عن ذلك لون من الشعر يُعبّر عن الحنين إلى الديار من خلال توظيف الطيف و"قد جُبل الإنسان على انتمائه لأرضه التي ولد فوقها، والبيئة الأولى التي عاش فيها، وإن تمرّغ في النعيم بعيداً عنها"14، ومما لا شك فيه أن كثير من شعراء الطوائف قد تعرضوا لتلك الظروف، وقد ظهر طيف الشوق والحنين كثيراً في أشعارهم، فهم مشتاقون لأوطانهم التي فارقوها، فالأندلسي على حسب قول فاطمة طحطح"ميال بطبعه إلى الإلفة... يكره الابتعاد عن وطنه، وترك أهله، وأي تغيير في نمط حياته، يعرضه لهزة نفسية وقلق مستمر"15، وعلى رغم من جمال طبيعة الأندلس وسحرها، وتشجيع الخلفاء للشعر، فلم ينس العرب من الذين هاجروا من المشرق إلى المغرب، بلادهم الأم، بل ظلوا متعلقين بها، متعاطشين إليها16، وقد أشتهر هذا الغرض في عصر الطوائف نتيجة الأبتعاد والأغتراب الذي حصل في تلك الحقبة، فكانت تجربة الغربة عميقة في

نفوسهم، فنظموا أشعاراً باكية من شدة اللوعة والحسرة والشوق والمعاناة" وليس كالأغتراب شيء يزيد من حنين الإنسان إلى وطنه وتعلقه به، وهذا ما حدث لهؤلاء الأندلسيين، سواء أكان اغترابهم بالانتقال من الغرب إلى الشرق، أم بالانتقال لسبب أو لآخر من مدينة إلى مدينة بالأندلس" 17 ، وليس كالشوق شيء يزيد من حنين الإنسان إلى وطنه، وتعلقه به، وهو ما حدث للأندلسيين "فكانوا كلما اشتدت عليهم وطأة الاغتراب، ونالت من نفوسهم، فزرع الشعراء منهم إلى الشعر يبثونه توقعهم وحنينهم المشبوب إلى أوطانهم وأهلهم وأحبابهم" 18. ومن المعاني التي دارت عليها أشعار الطيف في الشوق والحنين عند شعراء الطوائف هي: الشوق والحنين إلى الأوطان، وتجاربهم الذاتية في الغربة، والشوق إلى ملاعب الصبا، وتذكر الأيام التي خلت، والكثير من الشعر، كل ذلك لا بد أن يكون دافعاً لدى شعراء الطوائف إلى الاكثار من الطيف، فالطيف يخرج الشاعر من لوعته وشوقه وحنينه، ليطوف في عالمه الخاص، فالطيف يقرب البعيد الذي لا يتحقق في الواقع فلا قرب بغير الأحلام، ومن هنا يظن أن الطيف والأحلام عوض عن الحرمان في الواقع الذي يبعثه 19 فهو "يعلل المشتاق المغرم، ويمسك رفق المعنى المسقم ويكون الأستمتاع به والانتفاع به وهو زور باطل كالانتفاع به ولو كان حقاً يقيناً، وهل فرق بين لذة الخيال في حال تمثلها وتخيلها، وبين لذة اللقاء الصحيح والوصال الصريح" 20، وأول ما يطالعنا في الشوق والحنين عند شعراء الطوائف هو ابن زيدون (ت 463هـ) في قوله: 21

دومي على العهد، ما دُمنّا، مُحافِظة	****	فالحُرُّ مَنْ دَانَ إِنْصَافاً كَمَا دِينَا
فَمَا اسْتَعَضْنَا خَلِيلاً مِنْكَ يَحْبِسُنَا	****	وَلَا اسْتَفْدْنَا حَبِيباً عَنكَ يَثِينَا
وَلَوْ صَبَا نَحْوَنَا، مِنْ عَلُوِّ مَطْلَعِهِ	****	بَدْرُ الدُّجَى لَمْ يَكُنْ حَاشَاكَ يَصِينَا
أَبْكِي وَفَاءً، وَإِنْ لَمْ تَبْذُلِي صِلَةً	****	فَالطَّيْفُ يُقْنِعُنَا، وَالذَّكْرُ يَكْفِينَا
وَفِي الْجَوَابِ مَتَاعٌ، إِنْ شَفَعْتَ بِهِ	****	بِيضَ الأَيْدِي، التّي مَا زَلْتَ تُؤَلِينَا
إِلَيْكَ مَنَّا سَلَامٌ اللهُ مَا بَقِيَتْ الصَّبَا	****	صَبَابَةٌ بِكَ نُخْفِيهَا، فَتُخْفِينَا

إن دافع الشوق والحنين فجر في قلب الشاعر الشوق والحنين، فاستحضر طيف محبوبته وخيالها للهروب من الواقع المؤلم الذي يعيش فيه، فيطلب من محبوبته بالدوم على عهد المودة والوفاء وان البدر نفسه لو صبا إليه فلن يغير من موقفه، وقد استخدم الشاعر لفظة الوفاء ليبين لنا ان الحبيبة في موقف يعكس له هذا المصطلح، لان الوفاء "من أقوى الدلائل وأوضح البراهين على طيب الأصل وشرف العنصر، يتفاضل بالتفاضل اللازم للمخلوقات... وأول مراتب الوفاء ان يفي الانسان لمن يفي له، وهذا فرض لازم وحق واجب على المحب والمحبيب" 22 وقد لجأ الشاعر إلى الطيف ليحس بوجود الحبيبة معه، فهو قانع بوجود خيالها ويكفيه منها زيارة طيفها في المنام، و"ان يصير الطيف، أو الوهم والحلم، الرابطة الوحيدة التي تربط بينه وبينها، فذلك منتهى القنوط، بل هو آية على ان الخسران قد التهم كل شيء مرة واحدة وإلى الأبد، ولكن الشاعر يصر في سواء هذا اليأس، على ان يبادلها وفاء بوفاء، إذ في مقابل طيفها.. وفي هذا الدوام على العهد تتبدى مكارم الأخلاق على خير وجه ممكن" 23، وقد أثبت لنا الشاعر هنا قدرته في توظيف الطيف فهو البديل لحضور ذات الحبيبة مما أعطى الشاعر قدرة إبداعية ليعبر عن حالته النفسية المتعبة. ويقول في موضع آخر: 24

يَنْهَى جَفَاؤِكَ عَن زِيَارَتِي الْكُرَى	****	كَيْلَا يَزُورَ خَيَالِكَ الْمُعْتَادُ
لَا تَقْطَعِي صِلَةَ الْخِيَالِ تَجَنُّبَا	****	إِذْ فِيهِ مِنْ عَوَزِ الْوِصَالِ سِدَادُ
مَا ضَرَّ أَنَّكَ بِالسَّلَامِ ضَنْيَةَ هَوَى	****	أَيَّامَ طَيْفِكَ بِالْعِنَاقِ جَوَادُ
هَلَّا حَمَلْتَ السُّقْمَ عَن جِسْمِ	****	فِي كِلَّةٍ زُرَّتْ عَلَيْكَ فَوَادُ

وَفِي الْجَوَابِ مَتَاعٌ، إِنَّ شَفَعَتِ بِهِ \*\*\*\* بِيضَ الْأَيْدِي، الَّتِي مَا زِلْتِ تُولِينَا

يجد الشاعر هنا ضالته في عالم الطيف والخيال، ليعبر عن شدة شوقه لمحبوبته فيستحضر طيفها ليعمل اشتياقه، ليمثل الطيف تصورات النفس واحلامها لينفس به عن أزمة الحب والحد من فقدان الامل، فالحببية بعيدة عنه في الواقع لكنها في الخيال قريبة منه لكنه "خيال هس"، يمتلك قدرة للتحرر من قيود الواقع، لكنه يتبدد سرعة حين يستفيق الشاعر على خيبة أمل عشقية، والخيال الطيفي الليلي خيال سلمي؛ لأنه يقوم على استحالة حضور الحببية، ولأنه جعل الشاعر يجمع بخياله بعيدا عن الحقيقة، ويحقق بالوهم اتحاد العاشق بالمعشوقة التي تشكل جزءا من المعشوقة الأساس "25"، فيطلب الشاعر من حبيبته عدم قطع صلة الخيال لعل فيها شئ من من الوصال الذي يخفف لوعة وأشتياق الشاعر، وإن كانت في السلام شحيحة إلا ان أيام الطيف تعوض له ذلك ليعانقها بشوق ولهفة.

وقد يأتي الطيف في اليقظة ليحقق الشاعر فيه رغباته، فيلجأ اليه ويشرد وينشد الأبيات بالعودة الى ذكرياته، فتكون هناك أستجابات بديلة للأستجابات الواقعية عندما لا يجد الشاعر وسيلة لإشباع دوافعه في الواقع فهو قد يحقق إشباعاً جزئياً عن طريق طيف الخيال وأحلام اليقظة ليهدأ من لواعج اشتياقه وحنينه الى محبوبته، وهذا مانجده في ابيات ابن زيدون التي مطلعها: 26

إِنِّي ذَكَرْتُكَ بِالزَّهْرَاءِ مُشْتَاقًا \*\*\*\* وَالْأَفْقُ طَلَقٌ وَمَرَأَى الْأَرْضِ قَدْ رَاقَا  
وَلِلنَّسِيمِ إِعْتِلَالٌ فِي أَصَانِهِ \*\*\*\* كَأَنَّهُ رَقٌّ لِي فَاعْتَلَّ إِشْفَاقَا

ثم يقول:

لَا سَكَّنَ اللَّهُ قَلْبًا عَقَّ ذِكْرَكُمْ \*\*\*\* فَلَمْ يَطِرْ بِجَنَاحِ الشُّوقِ خَفَاقَا  
لَوْ شَاءَ حَمَلِي نَسِيمُ الصُّبْحِ حِينَ \*\*\*\* سَرَى وَافَاكُمُ بِفَتَى أَضْنَاهُ مَا لَاقَى  
لَوْ كَانَ وَفَى الْمُنَى فِي جَمْعِنَا بِكُمْ \*\*\*\* لَكَانَ مِنْ أَكْرَمِ الْأَيَّامِ أَخْلَاقَا

فيبدأ الشاعر بمناجاة حبيبته وهو يستحضر طيفها في مدينة الزهراء وقد كان الجو صافي وجميلاً، وقد أنطق الجماد وشبه الأفق بانسان مبتسم باسم النسر يحاكيه ويبيته شجوناً، كما شبه النسيم العليل بأنه شخص رقيق وقد أشفق على حالته، فيجعل من الطبيعة شخص يشاركه في حنينه وأشتياقه لمحبوبته فتتفاعل الطبيعة معه ويتجاوبان، فكل ما يراه الشاعر من حوله يهيج ذكرياته وأشواقه مما ولد في صدره الشعور بالضيق والألم، فالطيف يجلبه الكرى كطلاقة الأفق وهبة النسيم، وهي الطبيعة التي تحيط بالشاعر، ويدعو الشاعر على قلبه بعدم الراحة والسكينة إذا هو نسي ولا يبتر لذكرى حبيبته ولم يخفق ويطر شوقاً إليها، ويتمنى الشاعر لو استطاع نسيم الصباح وطيفه حمله حينما يسري لوجدتم أمامكم شخصاً أتعبه الشوق والحب فسترون ما صنعت به الأيام والذكريات، فهذه أمنيته هي أمنية خيالية في عالم غير حقيقي وهمي لا يمكن ان يتحقق في الواقع فالواقع الذي هو يعيشه يمنع تحقيق الخيال هو ان يصبح للنسيم جناح فيحمله الى محبوبته، كذلك يتمنى الشاعر لو تقي الأيام والأمنيات بعودها فتجمعه بمن يحب فتكون من أكرم وأفضل الأيام، فالذكرى تهيج الاشواق وتصنع الفراغ في الأزمنة غير الفاعلة، فالذكى تكون عملية خلط الزمان غير المجدي وغير الفعال بالزمان الذي أفاد وأعطى، ولا تكون جدلية السعادة والتعاسة مستوحدة إلى هذا الحد إلا عندما تكون متوافقة مع الجدلية الزمانية 27، وقد أستوعب الطيف مشاعر ابن زيدون المتعبة، وما يحمله من لوعة وأشتياق نتيجة للواقع الذي يعيشه ورغبات لا يمكن تحقيقها إلا عن طريق الطيف في عالم الشعر.

وقد أبدع ابن زيدون في توظيف الطيف ورسم صورة خيالية رائعة بايقاع جميل لا يمل من قراءته، لأمس فيها الواقع والخيال معاً في قافية تلامس السمع والقلب معاً، فهو مع طيف المحبوبة مرأى الأرض قد راقاً، والنسيم رق فأعتل أشفاقاً ومالت الورود اعناقاً... فكان الدمع رقرقاً. فكل كلمة كانت بمثابة جملة تامة غير ناقصة، بل هي قصة طيف جميلة لعاشق مشتاق يجره شوقه وحنينه إلى محبوبته، فأصبح يراها في كل الأماكن.

### المبحث الثاني: الفراق

هو احد دوافع الطيف فالشعراء الاندلسيين تناولوا قضايا عدة تتعلق بالفراق، ومنها فراق الحبيبة، وفراق الأقارب، وفراق الاصدقاء، فيلوذ الشعراء الى الطيف ليخففوا وطأة الفراق، فيطوف الشاعر بخياله ليتذكر أيام الحبيب قبل الفراق وذكرياتهم العذبة، ثم يصور ماينجم من الفراق من آسى وعذاب فالمحب لا يجد السعادة الا بقربه من الحبيبة، ففراق الانسان للمرأة التي يعشقها يترك في فؤاده حرقه شديدة، وحسرة كبيرة، تجعله مدركاً سر الفراق باحساس عالٍ، فيكون الطيف هو الشريط المصور لتلك الأحداث، فتتعدد الصور التي يكون الفراق فيها محوراً يستقطب صور الطيف بمختلف انواعه، سواء أكان الفراق فيها اختياراً بمحض إرادة الشاعر، أم كان اضطراراً، ليسجل فيه الشاعر ردة فعله بعد زيارة الطيف لهم، ليعتريه الطيف بصمته في إثارة كوامن الحزن والفراق، وتختلف مشاعر الشعراء مع الطيف عنها في لقاء المحبوبة ذاتها، فنجدهم يتلذذون بوصول المحبوبة في الحقيقة وعند الطيف ينقادون الى التخيل المتراوح بين التعلل بالماضي الجميل والضيق بالحاضر المنطوي على الهجر والحرمان 28، فالشاعر يعيش لحظات فراق الحبيبة أو الزوجة أو الأب أو الأم أو الأبن أو الصاحب أو المكان فيكون بأمس الحاجة الى رؤيتهم، وإعادة نشاط مشاعره التي مزقتها الفراق وسكن فيها الألم، ولذلك تكون زيارة الطيف تشكل دافعاً من الدوافع الوجدانية التي تبعث البهجة والترويح عن النفس، لاسيما في الليل، فالليل بما يحتويه من هدوء يريح الأعصاب ويجعل الشاعر يزيد من تأملاته، وبجانب وحدته في الليل تحيا وتنتعش آلامه وجراحه وأشواقه وآهاته، لذلك جعل ابن حزم لذة الطيف تفوق لذة اليقظة بقوله "ومن القنوع الرضى بمزار اللطيف وتسليم الخيال، وهذا إنما يحدث عن ذكر لا يفارق، وعهد لا يحول، وفكر لا ينقضي، فإذا نامت العيون وهدأت الحركات سرى الطيف؛ وفي ذلك أقول: 29

زار الخيال فتى طالت صابته \*\*\*\* على احتفاظ من الحراس والحفظه  
فبت في ليلتي جذلان مبتهجاً \*\*\*\* ولذة الطيف تنسي لذة اليقظه

ان فراق الشاعر لحبيبه لم يكن امراً سهلاً، فقد عانى منه كثيراً الا أن زاره خيالها بعد ذلك الفراق الطويل رغم وجود الحراس والناس المحافظين والرقباء، اتاه طيف محبوبته ليضفي له أجواء مليئة بالمتعة والسعادة والبهجة لتزيح الهموم المتركمة بداخله لتكون هنا لذة الطيف تنسيه اللذة التي يشعر بها في اليقظة. وتبدو كأس الفراق أشد مرارة من أية كأس أخرى، ولاسيما اذا كان الفراق عن طريق الموت، إذ لا أمل يرتجى في اللقاء مرة أخرى الا عن طريق استحضر الطيف وقد تحدث ابن حزم عن ذلك في قوله: 30

أتى طيف نعم مضجعي بعد هدأة \*\*\*\* ولليل سلطان وظل ممدد  
وعهدي بها تحت التراب مقيمة \*\*\*\* وجاءت كما قد كنت من قبل اعهد  
فعدنا كما كنا وعاد زماننا \*\*\*\* كما قد عهدنا قبل والعود أحمد



يأخذ الطيف عند أغلب الشعراء شكلاً عاماً يتمثل في صورة لخيال المحبوبة الذي يزور الشاعر في الليل، فبعد سكنة الليل وهدوءه يأتي طيف نعم فيقض مضجع الشاعر ويورق جفونه، بعد ان بعثر ألم الفراق مشاعره وهو على يقين انها تحت التراب ولكن طيفها اتى بها من جديد ليجدد الاشواق وليعودوا كما كانوا عليه من قبل فيخفق القلب لزمان الوصال الذي مضى، ويتمتع بطيف محبوبته ليهرب من واقع الفراق والقهر الذي يعيشه فيبني مكاناً اخر لهم في مخيلته ليحقق فيه رغباته ومشاعره التي طاق بها ذرعاً، فالفراق وما يحمله من معاني والليل وسكونه قد أسهما في لجوء الشاعر الى التشبث بالطيف ليكون منقذاً له من ويلات الفراق، وهو فراق موصولاً بالتلاقي، يحمل بعد جوهرى في قمة الابدع الدلالي، فقد تزامنت الكلمات وتنافست في معانيها لإعطاء صورة ناضجة ومفرحة في الآن نفسه بعد ان ضاقت النفس بالفراق وقد هون اللقاء مع طيف الحبيبة ما عاناه الشاعر من الم الفراق.

وقد جعل في موقع اخر ان سبب نومه هو الطمع في طيف الخيال ليرى حبيبته التي فارقتها منذ زمن فيقول: 31

طاف الخيال على مستهتر كلف \*\*\*\* لولا ارتقاب مزار الطيف لم ينم  
لا تعجبوا إذ سرى والليل معتر \*\*\*\* فنوره مذهب في الأرض للظلم

فيطمع الشاعر في النوم ليرى محبوبته ليجد في الطيف نوعاً من الراحة النفسية ليكشف آهات وهو اجس همومه، فهو يضيق ذرعاً بما آلت اليه حالة الفراق مما أدت الى هيجان مشاعره بعد أن تقطعت سبل الوصال وحال الموت بينهما فأصبح يتمنى النوم ليرى فيه حبيبته فهي نور يذهب حتى ظلمة الليل ووحشته فيكون الطيف الفرصة الوحيدة للقاء الأرواح، ليعوضه عن الحرمان والفراق الذي يعانیه الشاعر لأن طيف الحبيب يأتي "نتيجة للبين والفراق فيظل الشاعر العفيف متذكراً حبيبته، فيراها في خياله وتأمله وأحلامه، في صحوته وغفوته، ولكثرة تأمله يرى طيفها يزوره في المنام أو في أحلام اليقظة... وهو تعويض لما يفتقده الشاعر وتحقيق الفاء في صور الحلم" 32.

وعلى هذا النحو يؤرق الطيف ابن زيدون بعد ان حال الفراق بينه وبين من يحب فيقول: 33  
شَحَطْنَا وَمَا بِالْأَدَارِ نَائِيٌّ وَلَا شَحَطٌ \*\*\*\* وَشَطَّ بِمَنْ نَهْوَى الْمَزَارُ وَمَا شَطُّوا  
أَحْبَابِنَا أَلَوْتَ بِحَادِثِ عَهْدِنَا \*\*\*\* حَوَادِثُ لَاعَقَدُ عَلَيْهَا وَلَا شَرَطُ

نظم ابن زيدون هذه القصيدة في قرطبة بعد هروبه من السجن وقد وجهها الى ولادة وطلب الى صديقه ابي بكر الكاتب ان يكون شفيعه عند ابن جمهور، وهو معذب القلب مكلوم الفؤاد من الفراق وهو ما نلاحظه من تكرار صوت (الطاء) في قوله (شحطنا، شحط، شط، شرط) وهي كلمات تصب في البعد والفراق، فقد فارق الاهل والحباب ويتمنى عودتهم اليه بزيارة قد تكون واقعية او خيالية يتصورها في طيفه ولسان حاله يقول هل تعود تلك الأيام التي خلت؟...

ولما كانت زيارة الطيف قصيرة دائماً وهو في ذلك يحاكي واقع الحبيبة مما يترك أثره على الشعراء فهذا أبو إسحاق الألبيري، يلم به طيف زوجته فيستحضرها من اجل أخمد نار الشوق التي بداخل قلبه بعد ان حال فراق الموت بينهما، فيقول:

عُجْ بِالْمَطِيِّ عَلَى الْيَبَابِ الْغَامِرِ \*\*\*\* وَارْبَعِ عَلَى قَبْرِ تَضَمَّنَ نَاطِرِي  
فَسْتَسْتَبِينُ مَكَانَهُ بِضَجِيعِهِ \*\*\*\* وَيَنْمُ مِنْهُ إِلَيْكَ عَرَفَ الْعَاطِرِ  
فَلَكُمْ تَضَمَّنَ مِنْ ثَقَى وَتَعَقَفِ \*\*\*\* وَكَرِيمِ أَعْرَاقٍ وَعَرَضِ طَاهِرِ  
وَإِقْرَ السَّلَامَ عَلَيْهِ مِنْ ذِي لَوْعَةٍ \*\*\*\* صَدَعَتْهُ صَدَعاً مَا لَهُ مِنْ جَابِرِ

مُتَعَاهِدًا لِي بِالْخِيَالِ الزَائِرِ	فَعَسَاهُ يَسْمَحُ لِي بِوَصْلِ فِي الْكُرَى
عَلَيَّ أَوْ أَفِيهِمْ وَأَسْتَبْغَادِرِ	فَأَعْلَلَ الْقَلْبَ الْعَلِيلَ بِطَيْفِهِ
فِي لَحْدِهِ فَكَأَنَّهُ كَالْحَاضِرِ	إِنِّي لِأَسْتَحْيِيهِ وَهُوَ مُغَيَّبٌ
عِنْدِي فَمَا يَجْرِي سِوَاهُ بِخَاطِرِي	أَرَعَى أَدِمَّتَهُ وَأَحْفَظَ عَهْدَهُ

لقد حال الفراق بين الشاعر وزوجته، فكان البعاد ولم يبق من بقايا الوصال غير الطيف الذي يؤرق الشاعر كلما طرقه، فقد أصبح الطيف هو الفرصة الوحيدة للقاء الأرواح ليتخذ منه الشاعر فرصة لإفراغ مافي داخله من مشاعر وأحاسيس ليحيى بصورة مليئة بالوجع والحرمان والأسى، لتلتقي مع شوقه ولهفته الى لقاء الحبيبة فهو يهدي اليها السلام ويستسمحها بأن تصله في الكرى وتأتيه كخيال زائر فيعلل قلبه المريض بأستحضار طيفها وهو يعاهدها ان لا يغدر بها وان كانت تحت اللحد الا أنها حاضرة في ذهنه، ليجعل من الطيف النواة الأساسية في تشكيل الصورة المعبرة القادرة على وصف أثر الفقد على حياة الرائي، ولعل أبرز آثار هذا الفراق على الشاعر هي انكساره الواضح الذي الذي يفصح عنه قوله "إني لأستحييه وهو مغيب" فهو يستحي منها وهي مغيبة تحت التراب.

ومما لا شك فيه بأن ما نُظِمَ شعراً في معاني : الفراق، والبعيد يعد من أصدق الشعر عاطفة ، وأكثره تأثيراً في النفوس ، واستمطاراً للدموع ، ورعشة للقلوب، يقول المنفلوطي "وما تفجرت ينابيع الخيالات الشعرية ، والتصورات الفنية ، إلا من صدوع القلوب الكسيرة ، والأفئدة الحزينة " فهي سطور من بكاء القلوب.

### المبحث الثالث : الوداع

لقد حفل الشعر الاندلسي بتصوير مواقف الوداع التي تُعد من المواقف الإنسانية السامية، فهي لحظات تحول اللقاء من سعادة وفرح الى الم وحزن وفراق، وقد يكون وداع لوطن أو حبيبة أو أهل أو أصحاب، والوداع ليس بالأمر السهل على نفوس الإنسان بل يكون محملاً بالألم والعذاب والأحزان فكيف الحال إذا كان شاعراً قد ودع الأهل والأحباب بحزن شديد ليصور هذا الموقف في شعره باستحضار طيفهم، ليرسم لنا لوحة شعرية مؤثرة تبعث في النفس الكآبة والمرارة والحزن، وفي الشعر الأندلسي أبدع الشعراء في تصويرهم لهذه المشاهد، فصوروا الأيام الماضية بما حملت من ذكريات جميلة، كما ركزوا على تصوير هذه المشاهد من خلال قصائد ليؤكد قوة ارتباطه لوطنه وأهله وأصحابه، فقد تضطرب المشاعر ويحترق القلب ويخفق القلب في تلك اللحظة، وقد تُمارس طقوس وعادات خاصة في لحظة الوداع فقد كانت العرب "إذا غزت وسافرت حملت معها تربة بلدها رملاً وعفرأ تستنشقه عند نزلة أو زكام أو صداع" 34 ، فالنفس البشرية جُبلت على القرب ممن تُحب لكن الإيمان بالله جعل الانسان على يقين "أنه لا بد لكل مجتمع من أفتراق، ولكل دانٍ تناءٍ حتى يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين" 35، فيكون الوداع أحد الدوافع الوجدانية للطيف، فيعبر به الشاعر عن حالته وهو يسعى من اجل إعادة توازنه، فنجد ابن دراج، يطيل في وقفة تعجبية بعد ان ودع حبيبته لتعود اليه مرة أخرى بطيفها وتقطع مسافات بعيدة بينها وبينه فيقول: 36

وَطَيْفُكَ أَسْرَى فَاسْتَنَارَ تَشْوُوقِي	**** إِلَى الْعَهْدِ أَمْ شَوْقِي إِلَيْكَ اسْتَنَارَكَ
وَمُرْتَدُّ أَنْفَاسِي إِلَيْكَ اسْتَطَارَنِي	**** أَمْ الرُّوحُ لَمَّا رُدَّ فِيَّ اسْتَطَارَكَ
فَكَمْ جُرَّتِ مِنْ بَحْرِ إِلَيَّ وَمَهْمِهِ	يَكَادُ يُنْسِي الْمَسْتَهَامَ إِدْكَارَكَ

أَدُو الْحَظِّ مِنْ عِلْمِ الْكِتَابِ حَدَاكَ لِي  
 وَكَيْفَ كَتَمْتَ اللَّيْلَ وَجَهَكَ مَظْلَمًا  
 وَكَيْفَ اعْتَسَفْتَ الْبَيْدَ لَا فِي ظَعَانٍ  
 وَلَا أَدْنَ الْحَيِّ الْجَمِيعِ بِرَحْلَةٍ  
 وَلَا أَرْزَمْتَ خَوْصَ الْمَهَارِيِّ مُجِيبَةً  
 وَلَا أَدَكْتَ الرُّكْبَانَ عَنْكَ عِيُونَهَا  
 أَمْ الْفَلَكَ الدَّوَارَ نَحْوِي أَدَارَكَ  
 أَشَعَرَكَ أَغَشَيْتِ السَّنَا أَمْ شِعَارَكَ  
 وَلَا شَجَرَ الْخَطِيِّ حَفَّ شِجَارَكَ  
 أَرَاخَ لَهَا رَاعِي الْمَخَاضِ عِشَارَكَ  
 صَهِيلَ جِيَادٍ يَكْتَفِنَ قِطَارَكَ  
 حِذَارَ عِيُونٍ لَا يَنْمَنَ حِذَارَكَ

يمثل الوداع مساحة واسعة من أشعار ابن دراج 37، فهو "كثير الحديث عن وداعه لزوجته وأولاده، وصاف لما يكون في موقف الوداع من مشاهد حسية وآلام نفسية" 38، فيعجب الشاعر من وصول طيف الحبيبة إليه "وذلك باستخدام كيف وكم والهمزة بأكثر من مرة" قاطعاً الصحارى والبحار من دون استخدام أي واسطة نقل كالفرس أو الهودج أو غيرها من وسائل النقل ومن دون الخوف من رقيب أو حسيب يحيل من دون لقائهما، إنه الطيف الذي يستطيع فعل كل ذلك بمخيلة الشاعر، فطيفها قد أسرى من الفجر ليصل إليه ليجدد ويثير الأشواق التي بداخله ليتحرر من ألم الوداع ومرارته بأسترجاع طيف المحبوبة وزيارتها له، ويتعجب من الليل كيف ستر وجهها وهو بدرٌ منير يضيئ ماحوله، فيجيب هو عن سؤاله ويجد السبب هو التفاف شعرها الأسود حول وجهها قد ساعدها في إخفاء نورها عن الليل، ويلجأ الشاعر إلى استخدام "النافية" أكثر من مرة لينفي عن طيف الحبيبة أي صعوبة واجهتها في طريقها من أجل الوصول إليه، بعد أن ودعها وفارق عيونها ليجمعهم الطيف في خيال الشاعر. وفي موضع آخر يقول: 39

عَجَبًا لِعَيِّ الْحَبِّ لَاحِ سَبِيلُهُ \*\*\*\* وَلِرُشْدِ حِلْمِكَ كَيْفَ ضَلَّ دَلِيلُهُ  
 وَلِعَيْشِ صَبِّ لَا يَرِقُّ حَبِيبُهُ \*\*\*\* مِمَّا شَجَاهُ وَلَا يُفِيقُ عَدْوُهُ  
 وَلِقَاتِلِ بِالْهَجْرِ غَيْرِ مُقَاتِلِ  
 إِنَّ حَظَّ فِي جَوْ السَّمَاءِ مِثَالُهُ  
 أَوْ شَرْدَ التَّسْهِيدِ طَيْفَ خِيَالِهِ  
 وَلَهَانَ فِيهِ مَا فَقَدْتُ مِنَ الْكُرَى  
 يَقْدِيهِ مِنْ مَضِّ الْعَتَابِ قَتِيلُهُ  
 بَدْرًا فَبَيْنَ جَوَانِحِي تَمَثِيلُهُ  
 عَنْ نَظْرِي فِيهِمَا تَخْيِيلُهُ  
 لَوْ كَانَ مِنْ نَظْرِي إِلَيْهِ بَدِيلُهُ

فيتعجب من الحضور المفاجئ لطيف المحبوبة الذي يوافيه مع الليل بعد أن فارقها فتخيل طيف الحبيبة هو تعويض عن هجرها له، ويقول الشاعر ابن دراج القسطلي: 40

وَلَوْلَاهُمْ لَمْ أَبْدِ صَفْحَةَ مُعَدِّمِ \*\*\*\* وَلَمْ أَسْمِعِ الْأَعْدَاءَ دَعْوَةَ مُضْطَرِّ  
 وَلَا جُدْتُ لِلدُّنْيَا بِحَلَّةٍ وَاصِلِ \*\*\*\* وَلَوْ بَرَزْتُ لِي فِي غَلَائِلِهَا الْخُضْرِ  
 وَلَا رَاقِنِي مَا فِي الْخُدُودِ مِنَ الْهُوَى  
 وَلَمْ يَلْهِنِي قَرْبُ الْحَبِيبِ الَّذِي دَنَا  
 وَلَا شَاقِنِي مَا فِي الْعِيُونِ مِنَ السِّحْرِ  
 وَلَمْ يُصْبِنِي طَيْفُ الْخِيَالِ الَّذِي يَسْرِي

فيشكو الشاعر من ثقل مسؤولية أولاده التي تقع على عاتقه ويتعهد برعايته لهم وحمايتهم لهم من كل الظروف، فهو في حالة نفسية متوترة تُبعده عن كل شيء حتى قرب الحبيب أو بعده، فهو يعيش في حالة من اللاوعي وعدم التركيز لا يهمه شيء .

في حين نجد الشاعر ابن حمديس، لا يتعجب من زيارة طيف المحبوبة ولا يشير الى وجود الصعاب ووعورة الطريق امام طيف الحبيبة في سبيل الوصول اليه فكل شيء يهون من أجل اجتماع شملهم ويتمنى ان يطول الليل فيقول: 41

رَعَى مِنْ أَخِي الْوَجْدِ طَيْفَ ذَمَامَا	****	فَحَلَّلَ مِنْ وَصَلِ سَلْمَى حَرَامَا
تَحَمَّلَ مِنْهَا بَرِيَا	****	وَمَنْ أَرْضَهَا بِأَرِيحِ الْخَزَامَى
تَعَرَّضَهُ سُورُ قَصْرِ فُطَارَ	****	وَسَاوَرَهُ مَوْجُ بَحْرِ فَعَامَا
مَشَى بِالتَّوَصُّلِ بَيْنَ الْجُفُونِ	****	وَدَاوَى السَّلِيمَ وَأَهْدَى السَّلَامَا

ويذهب الى أبعد من ذلك، فحتى وان هجره طيف خيالها لا يقف مستسلماً، وإنما يعوض عنه بخاطره ليتحمل ويواجه لحظة وداع حبيبته وألم فراقها في قوله:

هَجَرَ الْخِيَالَ فَرَزْتَهُ بِالْخَاظِرِ	****	وَقَدْ يَكُونُ زَمَانُ هَجْرِكَ زَائِرِي
وَلَيْلٍ هَوَتْ فِيهِ نَجْوَمٌ كَأَنَّهَا	****	يَعَالِيُ بَحْرِ مُضْمَرِ الْجَزْرِ فِي الْمَدِّ
كَأَنَّ الثَّرِيَّا فِيهِ بِأَقَّةٍ نَرْجِسِ	****	مِنْ الشَّرْقِ يُهْدِيهَا إِلَى مَغْرِبِ مُهْدِ
أَرَدْتُ بِهِ صَيْدَ الْخِيَالَ فَفَاتَنِي	****	كَمَا فَرَ عَنِ وَصَلِ الْمُتَمِّمِ ذُو صَدِّ
فَكَيْفَ يَصِيدُ الطَّيْفَ فِي الْحَلْمِ سَاهِرٍ	****	أَقَلَّ كَرِيٍّ مِنْ حَسْوَةِ الطَّائِرِ الْفَرْدِ

فيأتيه الحل ويأتي طيفها في اليقظة متمثلاً الهلال في السماء متخيلاً إياه زورقاً في لجة الظلماء يأتيه بطيف حبيبته في تصوير رائع وجميل ليبدل على عدم أستسلام الشاعر لليأس وتمسكه باللذة والهوى وذلك في قوله: 43

مَنْ زَارَ فِي سَنَةِ الْأَجْفَانِ فِي حَفْرِ	****	لَمْ يَخْشَ غَيْرَانَ مَرْهُوبِ الشَّدَا حَنْقَا
فَنَعَتْ بِالطَّيْفِ لَمَّا صَدَّ صَاحِبُهُ	****	وَالطَّيْبُ إِنْ غَابَ أَبْقَى عِنْدَكَ الْعَبَقَا
لَوْلَا هَلَالٌ أَعِيرَ الطَّرْفَ زورْقَهُ	****	فِي حَوْضِهِ لَجَّةَ الظَّلْمَاءِ مَا طَرَقَا
مَنْ أَيْنَ لِي فِي الْهَوَى نَوْمٌ فَيَطْرُقَنِي	****	خِيَالَ مَنْ نَوْمُهَا يُغْرِي بِي الْأَرْقَا

فالشاعر يتخيل طيف الحبيبة ليعوض عن وداعها في الحقيقة فهو قنوع بطيف الحبيبة بعد ان صدت عنه ويشبهها بالطيب ويشبه الطيف بالعبق الباقي من ذلك الطيب، ويتمنى النوم لكي يرى خيالها ليذهب ذلك الأرق بعد ان لاح له طيفها في عالم اليقظة، وفي موضع اخر يطيل ابن حمديس وهو يتغزل بطيف حبيبته فيقول: 44

وَلَا عَجَبٌ أَنْ ضَمَّاتِنَا	****	جَبَرْنَ الْقُلُوبَ وَهَضْنَ الْعِظَامَا
بَارِضٍ دَحَاهَا الْكُرَى بَيْنِنَا	****	نَنَالُ الْأَمَانِيَّ فِيهَا احْتِكَامَا
فَلَا بَسَطَ الصَّبْحُ فِيهَا الضِّيَاءَ	****	وَلَا قَبَضَ اللَّيْلُ عَنْهَا الظَّلَامَا
فَلَوْ عَايَنَ الْأَمْرَ حَلَّ الْجَوَادَ	****	وَشَدَّ الْحَزَامَ وَسَلَّ الْحَسَامَا
وَأَقْبَلَ بِالرَّيْحِ نَحْوَ السَّحَابِ	****	يَظُنُّ سَنَا الْبَرْقِ مِنْهَا ابْتِسَامَا

ولما أتانا من الإنتباه \*\*\*\* دخلنا له بالوصال المناما  
 جعلنا تزاوَرنا في الكرى \*\*\*\* فما نَنَقِي من مَلومٍ مَلاما  
 وَمَرَّتْ لَطَائِفُ أَرْوَاجِنَا \*\*\*\* بَلُغُوا الْهَوَى حَيْثُ مَرَّتْ كَرَامَا

فيتغزل الشاعر بطيف الحبيبة وجمالها ويشبها بالبدر وهي في عينيه كالغصن الرطيب جميلة العينين، إذا ابتسمت كانت ابتسامتها بالبرق، ليشتد الوصال بينهما ويخرج الى وصف خلجات جسمها وعناقه لها وغير ذلك، وكأنه قد وجد في الطيف وتغزله بها تعويضاً له عن الحقيقة ومرارتها التي يعاني فيها بعد وداعه لها، فلا رقيب ولا حسيب ولا عادل ولا لائم، وحتى رائحة طيفها فهي عنده الطريقة التي يستدل بها على وصول طيفها اليه فيقول: 45

خيالك للأجفان مثله الفكر \*\*\*\* فعيني ملأى بالهوى ويدي صفر  
 سرى والدجى الغريب يخفي مكانه \*\*\*\* فم عليه من تصوعها نشر  
 وقد صوب النسْرُ المخلِّق تالياً \*\*\*\* أخاه ومات الليل إذ وُلِدَ الفجرُ

وهو يفتخر ويتباهى بقدرته على تصوير ما يمتنى من خلال طيف الخيال وقدرته على نسج الأفكار وصياغة المعاني فيقول: 46

وإذا أردت بأن تصور للمنى \*\*\*\* صوراً فسلمها لفكرة شاعر

وقد يذكر أسم حبيبته صراحة فمرة يسميها(سلمى) بقوله: 47

رعى من أخي الوجد طيفاً ذماماً \*\*\*\* فحلل من وصل سلمى حراماً

وفي حين آخر يداعبها بأسم(سليمى) في قوله: 48

قالوا صبا يا من رأى مستهاماً \*\*\* جباه كهل وهواه غلام  
 لعله صاد ولم يعلموا مكانه \*\*\* رئماً حلال صيده لا حرام  
 أو زاره طيف خفي الهوى \*\*\* يطرقة في الوهم لا في المنام  
 كأن تمثال سليمى اجتلى عليه منها خفراً واحتشام

### الاستنتاج :

استمر الطيف وهو يشكّل ظاهرةً مميزةً عند شعراء عصر الطوائف ، تلعب دوراً أساسياً في تصوير مكنوناتهم الشعرية ، فظهرت تجليات الطيف على وفق أبعاد تصويرية مختلفة ، فقد حضر الطيف المختبئ خلف نفسية الشعراء للحبيبة والوطن والأهل والأصدقاء ، والذي ينفلت رغماً عنهم ، وكانت دوافع الشوق والحنين توقد رغبتهم في استحضار الماضي الممزوج بأيام الصبا والمغامرات ، وتجد أن الفراق كان ينمي الرغبة لدى الشعراء على عودة الزمن قبل تلك اللحظات التي قد تكون أصعب مما تخيلها ، وتأتي لحظة الوداع التي لا تُنسى التي تدفع الشعراء إلى توثيق تلك التجربة الذاتية المثيرة للإحساس والشجون

،فالشاعر الأندلسي كان قادراً على إعادة تشكيل عالمه وصياغته عبر ذلك الطيف ؛ لأن المجتمع الأندلسي وما يتمتع به من طبيعة خلابة شكّلت بقعة جيدة لنمو الأحلام الممتعة.

## المصادر

- <sup>1</sup> نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، 1968: 211/1.
- <sup>2</sup> الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، الدكتور عبد القادر القط، مكتبة الشباب-مصر، 1988م: 14.
- <sup>3</sup> العباب واللباب الفاخر، العباب الزاخر واللباب الفاخر، الصاغاني، الحسن بن محمد ، دار الرشيد، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، العراق، 1981م،(حرف الفاء): 398 – 404.
- <sup>4</sup> لسان العرب ، محمد بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الأفريقي ،دار صادر -بيروت ، ط3، 1414هـ .(مادة طوف).
- <sup>5</sup> تاج العروس، تاج العروس من جواهر القاموس ،محمد الحسيني الزبيدي(ت 1798 م ) . ، الناشر: دار ليبيا للنشر والتوزيع، طبع في دار صادر، 1966م، ج 6 (مادة طوف)
- <sup>6</sup> ينظر: المعجم الوسيط، المعجم الوسيط ،إبراهيم أنيس ، عبد الحليم منتصر ، عطية الصوالحي ومحمد خلف الله أحمد ، أشرف على الطبع : حسن محمد شوقي أمين ، دار الأمواج ، بيروت ، ط2 ،ت 1987م ، (مادة طوف ) .
- <sup>7</sup> تاج العروس من جواهر القاموس ، 1966م: 184-185.
- <sup>8</sup> الزهرة، أبو بكر محمد بن داود بن علي بن خلف الأصبهاني ثم البغدادي الظاهري (المتوفى: 297هـ)، حققه وقدم عليه د.إبراهيم السامرائي ،مكتبة المنار الأردن -الزرقاء ، ط2، 1985م: 100/1.
- <sup>9</sup> طيف الخيال، الشريف المرتضى،ت محمد سيد الكيلاني،شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده-مصر، ط1، 1955م: 14-15.
- <sup>10</sup> طوق الحمامة في الألفة والالاف،ابن حزم الاندلسي،ت صلاح الدين القاسمي،مشروع النشر المشترك،دار الشؤون الثقافية العامة-بغداد، 1986م: 123.
- <sup>11</sup> تزيين الأسواق في أخبار العشاق ،داود بن عمر الأنطاكي، المعروف بالأكمه (المتوفى: 1008هـ)، تحقيق : د. محمد التونجي ،عالم الكتب-بيروت /لبنان ، ط1، 1993م: 159/1.
- <sup>12</sup> ينظر: الطيف والخيال دراسات في الشعر العربي القديم ،حسن البنا عز الدين ،دار الحضارة للنشر-القاهرة ، ط2، 1993م: 17.
- <sup>13</sup> ينظر: شعراء العصبية الأندلسية في المهجر، عمر الدقاق، منشورات دار الشرق، ط2، 1978م: 181.
- <sup>14</sup> محاضرات في تاريخ الأدب الأندلسي ،محمد حامد شريف،دار الكتب المصرية، ط1، 2000م: 41.
- <sup>15</sup> الغربية والحنين في الشعر الأندلسي،فاطمة طحطح،مطبعة النجاح الجديدة-الدار البيضاء، ط1، 1993م: 49.
- <sup>16</sup> ينظر: محاضرات في تاريخ الأدب الأندلسي: 42.
- <sup>17</sup> الأدب العربي في الأندلس، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية للطباعة والنشر-بيروت، ط1، 1976م: 273.
- <sup>18</sup> م ، ن : 274.
- <sup>19</sup> ينظر: شعرية الطيف بين الجاهلية والأسلام، عباس محمد رضا،مجلة جذور، 2005م: 306.
- <sup>20</sup> طيف الخيال: 14.
- <sup>21</sup> ديوان ابن زيدون، شرح الدكتور عمر فاروق الطباع، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع-بيروت-لبنان : 228.
- <sup>22</sup> طوق الحمامة في الألفة والالاف: 76-77.

- 23 الشعر والحساسية دراسات نقدية، منشورات وزارة الثقافة، الهيئة العامة السورية للكتاب، 2010: 85.
- 24 ديوان ابن زيدون: 63.
- 25 الثنائيات الضدية دراسات في الشعر العربي القديم، الدكتورة سمر الديوب، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة-دمشق، 2009م: 140.
- 26 ديوان ابن زيدون: 159.
- 27 ينظر: جدلية الزمن، غاستون باشلار، ترجمة خليل احمد خليل، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع-بيروت، ط2، 1922: 47.
- 28 ينظر: حركة النقد العربي القديم حول الشعر الجاهلي، د0ريم عبد القادر هلال، الجامعة الأردنية -الأردن، دط، 1993م : 155.
- 29 طوق الحمام، 1986م: 123.
- 30 م ، ن : 123.
- 31 م ، ن : 123.
- 32 الغزل العذري، د. يحيى الجبوري، دار البشير، عمان-الأردن، ط1، 2005م : 44-45.
- 33 ديوان ابن زيدون: 129.
- 34 رسائل الجاحظ، الجاحظ، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الرائد بيروت-لبنان، ط2.
- 35 طوق الحمامة في الألفة والالاف : 170.
- 36 ديوان ابن دراج القسطلي، 1961م: 113.
- 37 ينظر: م ، ن : 13، 14، 89، 90، 109، 110.
- 38 الادب الاندلسي من الفتح حتى سقوط الخلافة، احمد هيكل، دار المعارف-القاهرة، ط1، 1985م : 311.
- 39 ديوان ابن دراج القسطلي، ت محمود علي مكي، منشورات المكتب الإسلامي بدمشق، ط1، 1961م : 202.
- 40 ديوان ابن دراج القسطلي، 1961م: 114.
- 41 ديوان ابن حمديس، صححه وقدم له الدكتور احسان عباس، دار صادر-بيروت، 1960م : 452.
- 42 ديوان ابن حمديس: 150.
- 43 م ، ن : 337.
- 44 م ، ن : 453.
- 45 ديوان ابن حمديس : 240.
- 46 م ، ن : 209.
- 47 م ، ن : 252.
- 48 م ، ن : 459.